كتبها Administrator

الاثنين, 30 أبريل 2018 00:43 - تم التحديث فى الجمعة, 20 ديسمبر 2019 15:04

(من المجماعات الدينية للتقدم)

مقال للدكتور حامد طاهر

_____

يحتوى القرآن الكريم ـــ لمن يريد أن يعمل عقله ويتدبرتعاليمه ـــ على تسع آيات محكمات تدعو المسلمين جميعا إلى التمسك بدينهم ، وعدم الفرقة فيه . ومعنى ذلك تجنب الاختلاف المتعصب فى الدين ، الذى يؤدى إلى تمسك كل فريق برأيه ، والتكاتف فى الدفاع عنه ، وإقصاء الفرق الأخرى ، ومعاداتها ، بل والتصارع المسلح
معها ، مما يوقع المجتمع كله فى الفشل [ولا تنازعوا فتفشلوا] (سورة الأنفال، آية46) .

والآيات المشار إليها توجد فى ست سور من القرآن الكريم ، الذى يتلوه المسلمون آناء الليل وأطراف النهار ، ويقرأونه فى صلواتهم ، ويضرعون به إلى الله تعالى فى دعواتهم ، وهى حسب ترتيب المصحف : (آل عمران، والأنعام ، والتوبة، والروم ، والشورى ، والبينة) . أما الآيات فهى :

ـــ (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) [آآل عمران ، أية 103)

ـــ (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات) [آل عمران ، آية 105]

ـــ (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) [الأنعام ، آية 153]

ـــ (إن الذين فرقوادينهم وكانوا شيعا لست منهم فى ش ء) [الأنعام ، آية159]

ـــ (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين) [التوبة ، آية107]

ـــ ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) [الروم 31،32]

ـــ (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) [الشورى ، آية13]

ـــ (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) [الشورى ، آية 14]

ـــ (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة)[البينة ،آية 4]

والمعنى الصريح الواضح من مجموع هذه الآيات كلها يتمثل فيما يلى :

أ) دعوة المسلمين جميعا إلى ضرورة التمسك بدينهم .

ب) نهيهم بشدة عن التفرق فيه .

ومعلوم أن التفرق فى الدين إنما يبدأ من فهمه فهما خاصا يخالف المفهم الذى يجمع عليه عموم المسلمين . والقرآن الكريم يشير إلى بعض أهم أسباب هذا الفهم الذى يؤدى إلى نشأة الفرق وهو (البغى) ، أو (الإضرار والتفرقة بين المؤمنين) ـــ وقد حدث ذلك بالفعل لدى المشركين ، ثم أهل الكتاب الذين جاءتهم البينات الواضحة لكنهم لم يقتنعوا بها ، ووقعوا فى الفرقة والاختلاف ، وراحت كل فرقة منهم تتمسك برأيها الخاص ، وتتعصب له ، وتعادى من أجله الفرق الأخرى . وهنا ينهى القرآن الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم بكل حسم أن يتبرأ من أمثالهم : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء) [الأنعام ، آية159] .

تلك هى تعاليم الإسلام القاطعة ، كما أكّد عليها القرآن الكريم ، والتى تتعلق مباشرة بالاختلاف فى الدين ، الذى يؤدى إلى الفرقة، والتى ينشأ عنها تكون الفرق ، ثم تصارعها فيما بينها ، وتشتيت كلمة المسلمين ، وتحويل جهودهم من البناء والتنمية إلى تشرذم كل طائفة ، وكيدها لمن يختلف معها من الطوائف الأخرى ، بل ومعاداتها للمجتمع كله ،
وخاصة حين يقوى عودها ، ويكثر أتباعها ،

ويساعدنا القرآن الكريم فى فهم أحد بواعث الاختلاف الدينى حين يذكر فى سورة الشورى [آية14] أن هؤلاء المختلفين فى الدين ماكان ينقصهم (العلم) الهادى لهم إلى الصواب، والمنزل عليهم من السماء ـــ لأن الدافع الحقيقى لهم كان هو (البغى). والبغى فى اللغة العربية يعنى الظلم والاعتداء ، وكلاهما من بواعث النفس الشريرة ، وليسا من مجال العقل .

ومما لم يخضع حتى الآن للدراسة النفسة والاجتماعية المتعمقة : حالة زعماء تلك الفرق والجماعات الدينية الذين انشقوا عن عموم المسلمين ، من
أجل الوقوف على دوافعهم الحقيقية ؟ وهل كانت تتعلق
بـ : الثروة ، او السلطة ، أو
الشهرة ، أو البغى الذى اختصه القرآن الكريم بالذكر ، وهو الذى يشمل ويستتبع الثلاثة السابقة .

وبالنسبة إلى السنة النبوية ، فقد تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم محذرا فى نفس الوقت من ضرر الاختلافات التى ستقع فى أمته ، والتى ستفترق بسببها إلى اثنتين وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة :
هى ما عليه جماعة المسلمين

ويشهد الواقع التاريخى على تحقق تلك النبوءة . فبعد وفاة الرسول ،صلى الله عليه وسلم ، مباشرة ، امتنع مسيلمة وأتباعه من أهل اليمن من دفع الزكاة إلى بيت المال فى المدينة بحجة أنها كانت تدفع للرسول نفسه ، وبالتالى لا يحق لأحد أن يأخذها من بعده ! وهذا ما دفع الخليفة الأول أبو بكر الصدّيق إلى شن الحرب عليهم ، وبذلك أعاد الأمور إلى صحيح الدين
.

وقد توالى بعد ذلك ظهور الأفكار المضللة ، والتى راحت جماعات من المسلمين تتحلق حولها ، بل وتتعصب لها ، ومنها : مسألة عقاب مرتكب الكبيرة ، ومسألة القدر ، ثم تلا ذلك الخلاف العجيب الذى دار حول الصفات الإلهية ، ومنها ما عرف بفتنة خلْق القرآن . وكان فى الخلفية من ذلك كله : الصراع المحموم بين الفرق الدينية الكبرى ذات الطابع السياسى من الخوارج والشيعة ضد أهل السنة .

وفى مجال الفقه الذى يعنى بالأحكام الفرعية للدين ، انتشرت آراء كثيرة ، استقرت أخيرا فى أربع مذاهب توزعت على مناطق معينة من العالم الإسلامى ، وهى : المالكى والحنفى والشافعى والحنبلى . وعلى الرغم من الاختلافات الطفيفة بين هذه المذاهب الأربعة ، فقد تصادم أتباعها بالقوة (يروى الرحالة المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم أنه حين زار مدينة بخارى فى القرن الخامس الهجرى شاهد بنفسه كلا من الأحناف والشافعية يتقاتلون بالسيوف فى الشوارع
! وأنه عنما دخل المسجد الجامع بها فوجئ بوجود إمامين : واحد لكل
طائفة منهما !

قانون نشأة الفرق الدينية

تبدأ الأمور بشخص (فقيه أو داعية) يكون على درجة عالية من الذكاء ، والاطلاع ، والقدرة على التأثير فى الجماهير بحسن حديثه ، واستقامة سلوكه . وغالبا ما يتجمع حوله عدد من الأفراد الذين يقتنعون بدعوته ، ويروجون لها ، حتى يتكاثر عدد أتباعه ، ويصبح هنالك إجماع على طاعته ، واستجابة لكل ما يصدر عنه . ولكى يزيد من ارتباطهم به ، يضع لهم مختصرا لتعاليمه ، ثم يقوم بتنظيمهم فى طبقات تشمل :

الأتباع المتحمسين (النخبة) عموم الأتباع المتعاطفين مع الدعوة وللحفاظ على تماسك الفرقة أو الجماعة يعمل مؤسسها على ترسيخ مبدأ التعصب لها من ناحية ، وإبعاد أى تأثير خارجى عنها من ناحية أخرى . ومن الضرورى للفرقة ان يسود بين أتباعها مبدأ الطاعة المطلقة حسب درجة وتاريخ انتماء كل فرد منها للجماعة . وهذا هو ما
يفسر لنا استمرار بعض الفرق والجمعيات الدينية مثل الشيعة والخوارج منذ أكثر من ألف عام حتى اليوم .

إن هذا القانون الذى يمكن تطبيقه بسهولة على كل ما ظهر من الفرق والجماعات الدينيـ ة فى تاريخ المسلمين السابق ، ما زال صالحا للتطبيق على ما ظهر من أمثال تلك الجماعات الدينية فى مائة العام الأخيرة من العصر الحديث . والفارق الوحيد أن الاستعمار الغربى قد وجد فى تلك الجماعات التى تنشر وترسخ الفرقة والشقاق بين المسلمين فى الوطن الواحد ، وبينهم وبين إخوتهم فى الأوطان المتجاورة ـــ أرضا خصبة لدعمها ، وتقوية بعضها على حساب بعضها الآخر ، وإذكاء نار العداوة بينها جميعا ، حتى يكون هو الكاسب الوحيد ، وتظل له السيطرة عليها جميعا .

وأنا هنا لا أريد أن أذكر أمثلة محددة ، لكى لا أثير أصحابها ، ويكفى أن أدعو القارئ ، أيا كان اتجاهه ، أن يطبق ما ذكرته فى قانون نشأة الجماعات الدينية على أى جماعة دينية ظهرت بين المسلمين فى العصر الحديث ليتأكد بنفسه من صحة هذا القانون .

والنتيجة :

أن المجتمعات الإسلامية إذا ما قررت النهوض من كبوتها الحالية ، والانطلاق بقوة فى ركب التقدم الحضارى ، الذى أصبحت تشهده معظم بلاد العالم ، سواء فى الغرب أو فى الشرق ، فما عليها إلا أن تتخلص تماما وبصورة حاسمة من تلك الجماعات الدينية ، التى تتعارض فى نشأتها واستمرارها مع تعاليم الإسلام التى حددها القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وأن توجه المواطنين بدلا من الانشغال بمقولاتها .. إلى تحقيق التقدم والتنمية فى مجتمعاتهم . وفى رأيى أن ذلك لن يتحقق إلا من خلال :

ـــ محو الأمية الألفبائية ، والإلكترونية .

ـــ تطبيق منهج البحث العلمى الحديث على كل مجالات الحياة .

ـــ تنقية ثقافة المجتمع من الشعوذة والخرافات .

ـــ تشجيع مبادرات العمل الخيرى لمساعدة الحكومة فى خدمة المجتمع .

ـــ التواصل الإيجابى مع المجتمعات المتقدمة لمحاكاتها فى وسائل التقدم .

كتبها Administrator

الاثنين, 30 أبريل 2018 00:43 - تم التحديث فى الجمعة, 20 ديسمبر 2019 15:04